المصدر: الدستور

التاريخ : ١٩٩٧/٥/٢١

كلام غير معقول: نظام السادات مصائب ونكبات وليس فيه إيجابية واحدة!

عزيزى وصديقى إبراهيم عيسى:

الحوار عن الرئيس الراحل أنور السادات لايمكن أن ينتهى ونكتفى بما تم نشره فى الأسبوع الماضى.. فقد هالنى حقا المقالات الثلاثة التى كتبت ردا على ما أبديته من رأى فى الإشارة بإيجابيات الزعيم الراحل ونقد سلبياته!! لماذا هذه النظرة السوداء إلى عصر أنور السادات كله؟؟ ألا توجد إيجابيات فى نظام حكمه يمكن أن تشفع له؟

من المؤسف أنكم وقعتم فى ذات الخطأ الذى أندفع إليه أعداء عبد الناصر والكارهون له.. فهم لايرون من «ناصر» إلا السجون والمعتقلات والحكم المستبد!! ونظام السادات من وجهة نظركم عبارة عن سلسلة من الأخطاء والمصائب والنكبات وليس له حسنة واحدة!! وأتساءل إلى متى تشويه زعماء مصر؟ والعداء السافر لهذا الزعيم أو ذاك؟؟

وقبل أن أشرح بالتفصيل ما أعنيه أذكر ملاحظات سريعة أولاها التأكيد على أننى لست محامى السادات ولا أصلح البتة للدفاع عنه، فقد انتقدت أخطاءه على الدوام بشجاعة فى أثناء حياته ودفعت الثمن من حريتى، لكن انتقادى للرئيس الراحل وسجنى من جراء ذلك لم يجعلنى أفقد التوازن فى تقييم فترة حكمه. فأشيد بإنجازاته، وأتصدى بكل قوة لأخطائه وهكذا أحاول على الدوام الالتزام بالموضوعية

وفى رأيى أنه من الطبيعى أن يهاجم صديقى العزيز الحبيب «جمال فهمى» أنور السادات وينتقده بقسوة، ولا غرابة أن يفعل ذلك أيضا الأستاذ «عماد ابو غازى»، فالأول ناصرى والثانى يسارى، والناصريون واليساريون كانوا دائما على عداء سافر مع أنور السادات، ولكن ما أتعجب له هو موقفك أنت يا صديقى!! وأسألك سؤالا واحدا يا إبراهيم يا عيسى: كيف تزعم أنك ليبرالى مستقل ثم تمسح بحكم السادات البلاط؟؟ الغالبية العظمى من أنصار التيار الليبرالى كانوا مع السادات منذ سنة ١٩٧١ حتى سنة ١٩٧٨ عندما لم يستطع تحمل حزب الوفد الوليد وانقلب عليه، واتخذ منه موقفا عدائيا صارخا، وهكذا خسر الرئيس الراحل التيار الليبرالى وكانوا من أكبر المساندين له فى كل خطواته نحو الانفتاح.

وقد زعم الصديق «جمال فهمى» فى مقاله أننى قمت بتقييم السادات من وجهة نظر الإخوان، والانتماء للإخوان المسلمين تهمة لا أنكرها ووسام لا أرفضه، لكن فى يقينى أن الغالبية العظمى من الشعب المصرى

قامت بتأييد السادات في إنجازاته وهي ذاتها التي رفضت أخطاءه . وقد لاحظت أنكم في الرد على مقالي تجاهلتم العديد من إيجابيات الزعيم الراحل التي ذكرتها وعاملتم البعض الآخر باستخفاف!!

ومن الإنجازات التي أوردتها ولم ترد إشارة إليها في نقدكم الموجه إلى السادات ما يلي:

١ ـ عودة القضاة المفصولين إلى أعمالهم والعمل على إلغاء كل آثار مذبحة القضاء التي ارتكبها عبد الناصر سنة ١٩٦٩.

٢ ـ إلغاء الحراسات عن الأشخاص الذين تم تأميمهم ظلما في عهد الاشتراكية والعمل على تعويض المتضررين

٣ ـ النص على مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع، وذلك في صلب الدستور وتأكيد هوية مصر الإسلامية والنص على أن دينها الرسمي هو الإسلام.

٤ ـ عودة اسم مصر إليها من جديد.. هذا الاسم الحبيب الذي افتقدناه طويلا، بسبب الجمهورية العربية المتحدة وهو ثقيل على الآذان وفي النطق أيضا!

٥ ـ النص في الدستور على أن جرائم التعذيب لا تسقط بالتقادم.

ومن المؤكد أن كل هذه الإنجازات قد حازت على الغالبية الساحقة من تأييد الشعب المصري

وقد تحدثتم عن السادات الديكتاتور!! وأكدت يا صديقي أنه لافارق عندك بين عبد الناصر والسادات والعهد الحالي لكنني أرى اختلافا مهما يجعل الرئيس الراحل متميزا عن حقبة ناصر وعهد مبارك، فالمحاكمات العسكرية للمدنيين كانت استثناء في عهد السادات بينما هي الأصل في عهد سلفه وخلفه، وكم من مظالم شهدناها في هذه المحاكمات

وكانت محاكمة قتلة الشيخ «الذهبي» رحمه الله أمام محكمة عسكرية أمرا متوقعا، فهم قد ارتكبوا جريمة قتل في حق الشيخ الجليل وأساءوا إلى الإسلام أشنع إساءة!! لكن مثول الشاعر الكبير «أحمد فؤاد نجم» أمام العسكر وهو لايحمل سوى قلمه خطأ كبير، لكنه لم يتكرر، بل كان القضاء المدني بكل ما فيه من ضمانات هو الذي حاكم المعارضين لحكم السادات وعلى رأسهم هؤلاء الوطنيون الذين ألقى القبض عليهم عقب أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧. ولو كان هؤلاء قد مثلوا أمام محكمة عسكرية لنال كل منهم حكما رادعا

وقد تجاهلت يا صديقى هذه النقطة، وكذلك كان موقف «جمال فهمى» ولم يشر إليه أيضا الأستاذ «عماد أبو غازى» الذى أفاض فى شرح الحملات الامنية التى قام بها نظام السادات ضد خصومه. ولايمكن الدفاع عن هذه الإجراءات البوليسية بأى حال من الأحوال، لكن ألا ترى أن مثول المعارضين أمام قاضيهم الطبيعى أمر يستحق الإشادة خاصة بالمقارنة بعصرنا الحالى، ومحاكم العسكر هى الأساس؟؟

وقد اعترف الأستاذ «عماد أبو غازى» بحسنة واحدة فقط للرئيس السادات وهى الاحترام الكامل لبعض حقوق الإنسان فى عصره الحمد لله!!

وإن كان قد قال إن ما يعتبر إنجازات لعصر السادات يعتبر فى الحقيقة امتدادا لعصر سلفه!! وهو مالم أفهمه أبدا

صديقى العزيز إبراهيم عيسى

هناك أربع ملاحظات تخصك، وأرجوك أن تتقبلها بصدر رحب

١ ـ أنك فى تقييمك تحاول «بتر» عصر الرئيس الذى تتناوله عن سلفه وخلفه، وكأنه جزيرة منعزلة!! وهذا ما أخالفك فيه، ولا يعقل أن ننظر إلى حكم السادات دون النظر إلى ما كان فى عهد عبد الناصر، وما حدث بعد ذلك فى عصر مبارك، وفى ضوء كل ذلك يمكن تقييم السادات، فتاريخ مصر حلقة متصلة بكل ما فى ذلك من إيجابيات وسلبيات

٢ ـ أتفق معك فى أن الحكم فى مصر شمولى منذ ثورة يوليو وحتى الآن، لكن درجة هذه الشمولية تختلف من حاكم لآخر ولايمكن أن نضعهم جميعا على قدم المساواة، وصديقك «عماد أبو غازى» ذاته اعترف بأن أحوال السجون فى عصر السادات كانت أحسن بكثير من عهد عبد الناصر وقال إنها نقطة فارقة تفصل بين العهدين وما لم يقله أن أحوال سجنا، الرأى فى العهد

الحالى بالغة السوء، وأن فضل السادات على مصر كان واضحا فى هذه النقطة بالذات

٣ ـ من الغريب أنه يستوى عندك انتخابات سنة ١٩٧٦ النزيهة مع أخر انتخابات جرت قبل مقتله وحدث فيها تزوير سافر. تتهم السادات بأنه كان يمارس «شغل الحواة» عندما جرت فى عهده أنزه انتخابات فى تاريخ مصر منذ ثورة يوليو، ولم يتكرر مثلها حتى الآن!! ألا يكون أقرب إلى المنطق والعقل أن تكون نزاهة الانتخابات سنة ١٩٧٦ سببها أن الأوضاع السياسية سمحت بذلك بينما يعود التزوير فى انتخابات ١٩٧٩ إلى تردى الأحوال واتجاه السادات إلى الديكتاتورية السافرة وهو ما يتفق مع رأيى فى أن الزعيم الراحل بدأ بداية طيبة ثم أخذ حكمه فى التدهور وكان من مظاهر ذلك إسقاط القوى الوطنية التى عارضت «كامب ديفيد» فى انتخابات ١٩٧٩ أظن أن هذا أقرب للمنطق بدلا من اتهام السادات بأنه «حاوى» أو مزدوج الشخصية!

٤ ـ قلت إن السادات ابن عصره ردا على مقولتى إنه سبق عصره!! فهل كان فى عهد «ابن عصره» أحزاب وانفتاح، أم كان فى عهده الاتحاد الاشتراكى والاقتصاد الموجه وجاء السادات وأطاح بهما؟؟ مجرد سؤال. وقد سبق لى القول إن هناك العديد من إيجابيات زعيم مصر الراحل كانت محلا لشبه إجماع من الشعب المصرى فى تأييدها منها طرد الخبراء الروس من مصر، فلم يبك على رحيلهم سوى حفنة من الشيوعيين والناصريين، ولذا تعجبت من هذا الدفاع الحار عن الخبراء الروس، بل واعتبار ذلك إحدى سقطات السادات!! ولا أرى تناقضا بين مافعله وبين معاهدة الصداقة والتعاون التى عقدها مع الاتحاد السوفيتى بعد إطاحته بمراكز القوى، لقد أراد أن يطمئن الدولة العظمى ـ سابقا ـ قبل تفككها على وضعها فى مصر بغرض أن تستمر فى

تقديم العون العسكرى إلى قواتنا المسلحة، ولهذا الغرض أيضا قام بإدخال وزراء شيوعيين إلى الحكم لأول واخر مرة فى تاريخ مصر!! وبرغم كل ذلك اتخذ الروس موقفا عدائيا من السادات. ولم يستجيبوا لطلباته فى تزويد مصر بالأسلحة المتطورة، وأصبح بالتالى خبراؤهم عبئا ثقيلا على بلادنا. فكان القرار التاريخى بإخراجهم من مصر.

صديقى إبراهيم أدهشنى موقفك بحق من هذا الموضوع طرد الخبراء الروس، فأنت تقول إنهم لم يطردوا كلهم بل بقى منهم فى الجيش المصرى من شارك فى حرب أكتوبر! وهذه معلومة أسمعها لأول مرة أن الخبراء الروس شاركوا معنا فى حرب التحرير! وتعجبت أكثر من إدانتك للسادات لأنه تعامل معهم على أنهم ذوو عقيدة سياسية!! وليس باعتبارهم خبراء كانوا ينشرون الخبرة والعلم والمعمل والتقنية!! وأضفت قائلا إنها نفس المشكلة التى ستجعل بعض المتعصبين المتطرفين يرفضون الخبراء الفرنسيين فى مترو الأنفاق لأنهم مسيحيون!! أو الخبراء الألمان فى محطات الكهرباء لأنهم نصارى!! بالدمة هل هذا منطق؟؟ السادات أصبح متهما بالتعصب والتطرف لأنه طرد الروس من مصر!! وهو لم يطردهم لأنهم من أهل الإلحاد أو شيوعيون ومن أصحاب عقيدة سياسية، بل لأنهم تابعون للاتحاد السوفيتى الذى نكث وعوده فى تزويد مصر باحتياجاتها العسكرية. فكان أن وجه السادات ضربة معلم إلى نفوذهم وطرد خبرائهم من بلادنا. فلماذا التباكى عليهم؟!

ولم أفهم أبدا يا صديقى كيف يمكن أن تقوم بتقييم أنور السادات، ولم ترد إشارة فى مقالك من قريب أو بعيد إلى حرب أكتوبر أعظم إنجازات الرجل!! لماذا تجاهل أعظم إيجابية للرئيس الراحل؟ وهكذا كان أيضا موقف «عماد أبو غازى» ولا كلمة عن حرب أكتوبر!! أما صديقى العزيز «جمال فهمى» فقد كنت أتمنى له أن يكون مثلكما!! فبعد أن قال عن هذه الحرب إنها إنجاز رائع لايستطيع وطنى أن ينكره ذهب إلى أن صاحب هذا الإنجاز هو الشعب المصرى وليس السادات!! هل يعقل ما قاله؟؟ أنا آسف يا صديقى هذا تعصب أعمى ضد أنور السادات. وفى يقينى أن الزعيم الراحل ليس «بطل العبور» فالجيش هو البطل ولكنه بالتأكيد «قائد العبور» على الأقل يا أخى باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة. أما محاولة

القضاء على أى إيجابية لأنور السادات من منطلق حب عبد الناصر، فهذا مرفوض تماما وفيه تشويه شديد للحقيقة والغريب أن صديقى جمال يرفض أن ينسب للسادات أى دور فى النصر المحدود الذى تحقق، لكنه ينسب له وحده كل التطورات السلبية التى حدثت بعد ذلك!! فهو يتحمل فقط الوزر.. أما عبور القناة فلا يعود الفضل فيه للسادات!!

طرحت هذا السؤال فى المرة الماضية، ولم أتلق أى إجابة برغم كثرة الكلام عن العلاقة بين الإخوان والجماعات الإسلامية عامة وأنور السادات.. سؤالى واضح وكان التجاهل له و«الطناش» هو الرد المناسب من جانبكم!! ... ربما لأن الإجابة محرجة!! لقد وضحت قوة الإخوان المسلمين تماما فى عهد الرئيس مبارك الذى يشن نظامه حملة عليهم.. لكن الإخوان اثبتوا وجودهم فى كل انتخابات سواء فى مجلس الشعب أو الجامعات أو النقابات المهنية.. من أين يستمد هؤلاء قوتهم.. هل من قبر السادات!! أم من الشارع المصرى والتفاف الناس حولهم وهو ما ترفضون الاعتراف به!!

وأخيرا.. أقدم لصديقى جمال فهمى فى ختام مقالى مفاجأة ردا على المفاجأة التى قدمها فى الأسبوع الماضى!! فقد ذكر أن جماعة شباب محمد التى تمثل الإخوان أرسلوا إلى الرئيس السادات برقية نشرتها مجلة «الاعتصام» الإسلامية طالبوا فيها بإلغاء حزب التجمع عقب مظاهرات ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧. والحقيقة أن جماعة شباب محمد لا صلة لها بالإخوان المسلمين لا من قريب أو بعيد، ولا أعرف السبب الذى دفعه إلى الربط بين الجماعتين!! فما رأى صديقى فى هذه المفاجأة؟

ولابد فى النهاية من تدارك خطأ وقعت فيه، فلم أذكر واحدة من أهم إيجابيات السادات فى مرحلته الأولى، الإيجابية وللأسف قام بنسفها فى أواخر أيامه، وهى ما جاء فى الدستور من أن مدة رئيس الجمهورية فترتان فقط.. وقد تم تعديل هذه المادة ليحكمنا كل رئيس مدة حياته.. أعتقد أن العودة من جديد للنص الأصلى وتحديد مدة رئيس الدولة أمر أراه لازما يساعد فى حل مشاكل مصر وتجديد شبابها

محمد عبد القدوس